

الآثار المصرية

انفاً المستر هنري واس رسالة مسهبة في الآثار المصرية نشرت في العدد الاخير من جريدة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيها ما ملخصه ان من اعظم مآثر القرن التاسع عشر حل رموز انجم المصري القديم الذي عرفت بوحكمة المصريين القدماء . ولكن الذين رأوا القبور والهياكل المصرية القديمة وما يلحقها من التلث والدمار سنة بعد سنة يحشون من انطاس آثارها في هذا القرن فيكون القرن التاسع عشر قد كشف عنها ستار الدهور ليلاشيها من عالم الظهور . يشهد بذلك ما قاله المسو ناقيل المتولي ادارة النقب في آثار تل بسطة وهو انه نسخ الكتابات والرسوم المنقوشة على قبر الملك سبي الاول ثم عاد اليه بعد مدة وجيزة فوجد ان تلك الكتابات والرسوم قد طمس تماماً وهذا الامر وامثاله قد دعا الكتاب الاوربيين الى التنديد بالاحوال المحاضرة وانهاض قبة الحكومة الى زيادة الاعتناء بالآثار المصرية

واكبر متلف للآثار المصرية في عرف كتاب الجرائم المباح ولكن السباح يثرن على الآثار من الخيال ولا سيما بعد ان صار السفر بالسفن البخارية التي لا تقم عند اشهر الهياكل المصرية الا بضع ساعات او دقائق . وجهد ما يتفقد به على السائح انه يأكل في رحاب الهياكل ويترك فضلات الطعام فيها وهو امر خارج عن حدود اللياقة ولكنه لا يضر الهياكل . وقد ينش اسمه على بعض الحجارة والاعدة وذلك غير حسن ايضاً ولكنه ليس شيئاً بالنسبة الى ما فعلته الحملة الفرنسية التي نفتت اعمالها بحروف غائرة طول الحرف منها ذراع . وقد انهض السباح قبة بعض الاهلين الى تقليد صناعة اسلحتهم الاولين فترى ان اكثر ما يتباعه السباح منهم من الخرز والجعلان لا يتت في تاريخه الى اكثر من ثلاثة او اربعة اشهر . ولا يتكر انهم يتباعون اشياء كثيرة من الآثار ولكن اكثرها ما لا يكون مفرداً واللوم في ذلك على النظام الحالي الذي يجبر الفلاحين على تقديم ما يجودونه الى الحكومة وتخويل الحكومة فرض ثمنه فان الفلاح اذا وجد حقة وعلم انه يأخذ ثمنها جنبها من السائح الاجنبي لا يعرضها على دار الخف (الانتكحانة) ليأخذ ثمنها نصف جنبه . وقد رخ في عقول الفلاحين ان الحكومة ثمن الخف باقل ما يمكنهم ان يبيعوها به ويصب عليهم ان يساروا رجال الحكومة في الثمن فيفضلون بيعها للاجنبي على كل

حال وهذا يدعوهم الى اختاء ما يجدون منها الى ان تلوح لهم فرصة يبيعون وقد يقطعونه قطعاً كثيرة ويبيعون كل قطعة منها لسائح فيتمذرج جمع قطعهم معاً وتضع فائدتهم . واخفاء التحف يدعو الى اختاء المكان الذي وجدت فيه فيجمل وتوثق فائدتها التاريخية وقد يدعو الى اذابة الذهبية والفضية منها فلا يبقى منها نفع تاريخي ولا اثر على الاطلاق مثال ذلك انه منذ بضع سنين وجد الكاتب بعض النقود الذهبية البطلموسية في دكان رجل في القاهرة وهي لامعة براقه كما انها خرجت من دار الضرب بالامس ولم يتعامل بها احد . وقد وجدت هذه النقود في النجوم ووجد معها كثير غيرها والذين وجدوها اذابوها حالاً مخافة ان تعلم بهم الحكومة ولم يحتفظوا منها الا النقود المذكورة . فلو كانت هذه الحديقة ملكاً حلالاً للذي وجدها يتصرف بها تصرف المالك بملكه ويبيع لمن يشاء كما يبيع قمحة وقوله لحظت كلها ولم يتلف منها شيء واغنت بها متاحف العلم والذين وجدوها ايضاً . ولا يبعد انه كان بينها نقود نادرة المثال ولم يعد في الامكان العثور على مثلها فحصر بها العلم خسارة لا تعرض . ومما يكن من امر هذه التحف وكل الآثار الصغيرة التي يمكن نقلها من مكان الى آخر فهي ليست المراد بالآثار المصرية عند حصر المعنى واما الآثار المصرية فهي الهياكل والقبور والتماثيل وما اشبه وهذه لا تتلف بابتاع السياح لبعض النقود والجعلان ولا تحفظ بمنعهم عن ابتاعها

وقد شرع الناس في ازالة الآثار المصرية الحقيقية من ايام الملك نوبودوس سنة ٣٦١ للميلاد وزاد ازالة ما بعد الفتح فصارت الهياكل القديمة مقال للجماعة وبذلك خربت كل مباني منف وطست آثارها وحتى الآن لا يزال البعض يقتلعون حجارة المباني القديمة ليبنوا بها بيوتهم او ليحرقوها جبراً وجميع الذين شاهدوا المدافن القديمة في اسيوط منذ سنين قليلة يعلمون ان الجدران الناصلة بين غرفها قد زالت رويداً رويداً مع انها كانت منطاة بالكتابة والنقوش من اسفلها الى اعلاها وهي من ايام الدول المصرية الاولى . وكلما زاد الناس ثراءً واتقوا بناء بيوتهم وابدلوا الطوب بالحجر زادوا بها فاعلى ازالة المباني القديمة وبلاشاة ما لم تقدر مخالب الدهر على ملاشاة

وعلماء الآثار المصرية لا يسلطون من اللوم لانهم كثيراً ما يتبنون الهياكل ويتركون ما فيها معرضاً لرحمة الهوا والشمس والعمال . وكثيراً ما يستعملون اعنف الوسائل في النقب حتى لقد كانوا ان يبني بعض ما كنفوه مستوراً تحت حجب الخنايا الى ان توجد وسائل اخرى للنقب لا يتلف بها من ان ينقب الآن ويتلف شيء منه

هذه بعض اسباب التلف ويزاد عليها ان الطبيعة نفسها تلف المباني القديمة .
 واستطرد الكاتب من ذلك الى انه يجب ان تعين الحكومة رجلاً لحفظ الآثار القديمة وتعيين
 معه مهندساً وحرصاً يتولون حراستها وترميم ما يهتّم منها . ثم التفت الى المخلاف الذي وقع بين
 فرنسا وانكلترا على تعيين رئيس الانتكحانة فقال انه في الليلة التي توفي فيها الشهير مريت
 سنة ١٨٨١ صدر الامر بتعيين المسيو مسبرو خلفاً له وكان ذلك بواسطة قنصل فرنسا
 لانه خاف ان يتكلف مريت في هذا المنصب وكيّله الدكتور هنري برغش العالم الشهير
 بالآثار المصرية فتخرج ازمة هذا المنصب من ايدي فرنسا . فاقام المسيو مسبرو في
 خمس سنوات ثم عزم على مبارحة النظر المصري واعلم حكومته بذلك فسعت في تعيين
 المسيو غريبو خلفاً له وتم ذلك على غاية السكينة حتى ان توبار باش لم يعلم بومع انه كان
 حينئذ رئيس النظارة فلما جاءه المسيو مسبرو ليودعه واخبره بتعيين خائف له بهت من
 الامر ولكنه عاد فادرك سر المسألة

ثم لما فُتحت مسألة تحويل الدين نشيبت فرنسا بجعل مدير الانتكحانة فرنسواً وجعلت
 ذلك شرطاً لمصادقتها على تحويل الدين فلم يسع انكلترا الا ان نجيبها الى ذلك لكي
 لا تخسر مصر ما ترجمه من التحويل . ولكن وجود المسيو غريبو لا يمنع تعيين اناس يحافظون على
 الآثار المصرية ويحفظونها من التلف لانه هو نفسه غير قادر على القيام بادارة الانتكحانة
 وحفظ كل الآثار المتفرقة في طول البلاد وعرضها

وقد ندد الكاتب بوضع الرسم على دخول الانتكحانة وعلى السياح الذين باتون لمشاهدة
 الآثار . ومدح المصريين الاصليين وقال انه لا بد من ان ينهضوا عن قريب ويسترجعوا
 قديم مجدهم ويحفظوا ما خلفه لهم اسلافهم

هنا ومن شاء ان يعرف ما تم على الآثار المصرية فليس عليه الا ان يقابل ما كانت
 عليه في المئة السادسة للهجرة مثلاً وما صارت اليه الآن فانه لما جاء عبد اللطيف البغدادي
 الى هذه الديار في اواخر القرن السادس للهجرة كانت المطربة وهي المعروفة قديماً بعين
 شمس وجهات سفارة وهي المعروفة قديماً بمنف غاصتين بالآثار القديمة كما يظهر مما اورده
 في وصفها قال " ومن ذلك الآثار التي بعين شمس وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محققاً
 بها هندوسياً ويظهر من امرها انها قد كانت بيت عبادة . وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة
 الشكل من نحت الحجارة يكون طول الصم زهاء ثلثين ذراعاً واعضائوه على تلك النسبة
 من العظم . وقد كان بعض هذه الاصنام قائماً على قواعد وبعضها قاعداً بنصبات عجيبة

وانقادات محكمة وباب المدينة موجود الى اليوم . وعلى معظم تلك الحجارة تصاوير الانسان وغيره من الحيوان وكتابات كثيرة بالفلم المجهول وقلما ترى حجراً غيلاً من كتابة او نقش أو صورة . وفي هذه المدينة السلطان المشهورتان وتسميان مسلمتي فرعون وصفة المسلة ان قاعدة مربعة طولها عشر اذرع في مثلها عرضاً في نحوها سبباً قد وضعت على اساس ثابت في الارض ثم اقيم عليها عمود مربع مخروط ينيف طوله على مائة ذراع يندفي من قاعدة لعل قطرها خمس اذرع وينتهي الى نقطة وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى نحو ثلث اذرع منها كالنوع وقد تزخر بالمطر وطول المدة واخضر وسال من خضرتي على بسيط المسلة والمسلة كلها عليها كتابات بذلك الفلم ورأيت احدى المسلمين وقد خرت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها . ثم ان حولها من المسال شيئاً كثيراً لا يحصى عددها ومقاديرها على نصف تلك العظمى او ثلثها وقلما تجد في هذه المسال الصنار ما هو قطعة واحدة بل قصوص بعضها على بعض وقد تهدم أكثرها وإنما بقيت قواعدها

اما الكلام على اثار منف فقد اوردناه في المجلد الثاني عشر من المنتطف في الكلام على منف الغابرة . ولو اعنى المصربون بحفظ هذه الآثار الى الآن لوجد الباحثون فيها كثيرًا لا تقدر قيمتها العلمية ولرأى السياح اقوى جاذب يجذبهم الى التجوال في هذا النظر وانفاق الاموال الطائلة فيه . وعسى ان ما حفظ الى الآن منهم الحكومة الخديوية بحفظه الى ادهار كثيرة

السلك الاحول

من الناس من اذا رأى صندوقاً لم يستطع ان يعلم من نفسه انه كان الراحاً والالواح كانت اشجاراً نامية فقطعت ونشرت وضع الصندوق منها بل حسب انه وجد من نفسه على السلوب لا يدرك ومنهم من لا توافقه معرفة ذلك لانه رأى التجارين ينشرون الالواح من الاشجار ويصنعون الصناديق منها او سمع وصف ذلك فصدقة لانه رآه منطبقاً على العرف العام ولكنه اذا رأى وادباً في جبل لم يحسب انه كان ارضاً منبسطة او جانباً من جوانب الجبل فهطلت الامطار وجرى السيل فجرف التراب من مسيله واقتاع الصخور وجرى بها وخذد الارض تغديداً وتوالى السنون والسيل يعنى